الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 17) – 1994 – 1414

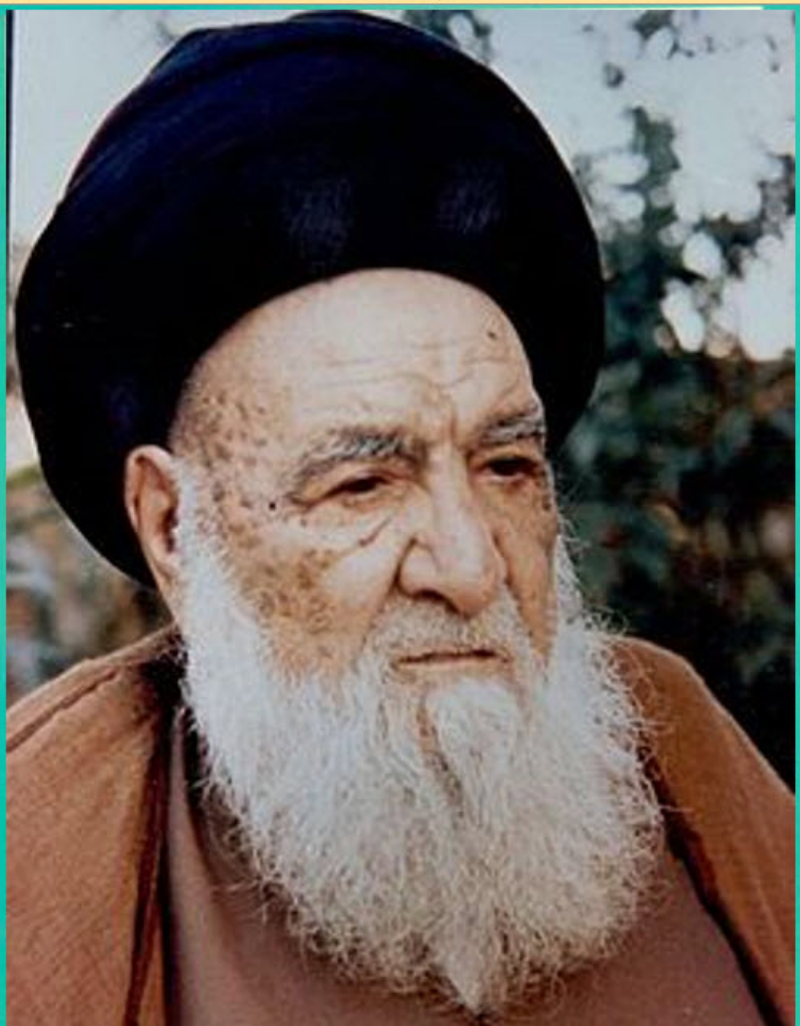

آرشيو مخطوطات
نازه رضا عوض الحلبية
٢١٢٣٠

الرافد

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

Shiabooks.net

١٧

ترسل جميع المراسلات والطلبات باسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

«مؤسسة مسجلة في المملكة الهولندية»

KUFA ACADEMY
POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEIJRLAND
[HOLLAND] - TEL, FAX: 01860 - 20712

الاشتراك السنوي ١٠٠ دولار امريكي

ملامح في الجانب العلمي في حياة الامام الخوئي

●الدكتور عبد الهادي الفضلي

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين .

أودى فليت الحادثات كفافي
مال المسيف وعنبر المستاف
رغت الرعود وتلك هدة واجم
جبل هوى لآل عبد مناف

● ● ●

كنت في لندن ، يوم فاجأنا النعي المؤلم ، وأقيمت مآتم العزاء ، في مختلف مدن ، وقرى ، وأرياف بريطانيا ، وايرلندا ؛ من قبل المسلمين المتواجدين هناك .

وسمعت شيئاً كثيراً مما قيل في تأبين الفقيد العظيم ، وقرأت ـ أيضاً ـ شيئاً كثيراً مما نشر في الصحف العربية ، وغير العربية ؛ باللغة الإنكليزية ، أو الأوردو ، أو الفارسية ، مما قيل في تأبين الفقيد العظيم .. وكل ما قيل ؛ كان يتأثر بشدة وقع المأساة .. وكان يركز على جانب موقف الحكومة العراقية ، من موضوع التشييع .. وقد تطرق بعضهم إلى جوانب سياسية .. وأهمل الجانب المهم ، في حياة الإمام الخوئي ـ قدس سره ـ وهو الجانب العلمي .

إن يخلد الإمام الخوئي ؛ وهو من الخالدين ، فبعلمه ، لا بمرجعيته ـ وان كان هو في الأرقام الأولى ، في قائمة المراجع . إذ الكثير من المراجع ، مروا في التاريخ ، ولا يعرف عنهم إلا الإسم .

خلود السيد الخوئي بعلمه . وأنا ـ هنا أحاول أن أعطي شيئاً قليلاً ؛ يلقي الضوء على هذا الجانب .. وذلك لمناسبة عالمية قائمة ـ الآن .

من يحاول أن يتنقل ، في أمريكا ، أو في أوربا ، سوف يقف على هذا الواقع ؛ بشكل واضح .. بعد انهيار المعسكر الإشتراكي ، وانهزام الشيوعية .. أخذت الرأسمالية تنحدر .. وأخذ المجتمع العالمي الكبير ، يتجه نحو العلم .. المجتمع العالمي بدأ يتحول ـ الآن ـ من الرأسمالية إلى عالم المعلومات ؛ وعندما تقول : عالم المعلومات ... يعني أنّ : أية أمة ، أو أية طائفة ، أو أي مجتمع ؛ لا يشارك بمعلوماته ، وبحضارته ، سينتهي !

من هنا كان شيءٌ من التحرك ؛ من قبل طائفة الشيعة .. لتسهم ـ مع الأمم الأخرى ، والطوائف الأخرى ـ في المجتمع الجديد المقبل .. ولعلكم تقرأون في الصحف اليومية ؛ عن النظام العالمي الجديد .. والذي يحاول أن يقوم على أساس الديمقراطية .

من هنا ؛ على المسلمين .. وبشكل إلزامي ، أن يقولوا كلمتهم ، وأن يثبتوا وجودهم ، وأن يقدموا حضارتهم .

قلت : هناك شيء من التحرك لهذا ؛ من قبل الطائفة الشيعية .. وأعطي بعض الأمثلة ؛

حتى أنتهي إلى موضوعي ، وهو : التعريف بجانب ؛ من جوانب علم الفقيد العظيم .

في الجمهورية الإسلامية في إيران ، وبإشراف المرشد العام ، للجمهورية ؛ توضع ـ الآن ـ دائرة معارف إسلامية ؛ للفقه .. وفق مذهب أهل البيت (ع) .

وفي مدرسة السيد الكلبايكاني ، في قم ، يوضع ـ الآن ـ معجم الفقه الجعفري .. باللغة الفارسية ، وباللغة العربية ، وهناك مفاتحة مع المجمع الإسلامي العالمي ، للسيد الكلبايكاني في لندن ؛ أن يترجم للغة الإنكليزية .

هذه من الإسهامات القائمة ـ الآن ..!

وكان ـ هناك ـ اسهام ؛ من السيد الخوئي ـ قدس سره ـ وهو إنشاء المؤسسات ، لتحول هذه المؤسسات الى مراكز تعليم منظم ... التعليم الحوزوي ـ كما تعلمون ـ مفتوح .. يدخل الطالب فيه ، ويخرج .. قد يكون بحصيلة جيدة ، وقد يكون بلا حصيلة .. والناس ـ في الغالب ـ لا يفرقّون ـ من خلال الأزياء ـ بين العالم ، وغير العالم ... عندما يتحول التعليم ؛ إلى تعليم منظم ، هناك تأتي النتائج ، كما هو مطلوب ، وكما ينبغي أن يكون .

وبدأت هذه المؤسسات ؛ التي عدّد شيئاً منها الأستاذ السعيد البريكي .. بدأ بعض هذه المؤسسات ؛ يخطو هذه الخطوات بإيجاد تعليم شرعي منظم .

كل هذا ، وأمثال هذا .. لنثبت وجودنا ؛ كطائفة حضارية ، تملك رصيداً علمياً مهما ، يستطيع أن يحقق للعالم .. سعادته وهو فكر أهل البيت عليهم السلام .

عندما كنت هناك ؛ قبل وفاة السيد الخوئي ـ رحمه الله ـ وكذلك ؛ بعد وفاته ... أنتقي أنا وأساتذة أخرون ، بدكاترة وبروفسورية ؛ من أساتذة أقسام الدراسات الإسلامية .. والدراسات العربية .. والدارسات الشرقية ، في الجامعات ، والمعاهد الموجودة في لندن .. وكنا نذاكرهم ونعطيهم فكرة عن مذهب أهل البيت .. وعن فكر أهل البيت ، وكنا نقدم لهم نماذج من الكتب ، ونماذج من الشخصيات .. ومن تلك الشخصيات التي كنا نقدمها ؛ كنموذج لعالم انساني ـ أي على مستوى الإنسانية ـ السيد الخوئي ... وكانوا يستجيبون ويتجاوبون .. وكنا نتلقي ـ أيضاً ـ في كلية الشريعة .. وترجمت بعض فصول من كتب السيد الخوئي ، ومن كتب السيد الصدر ، ومن كتب الشيخ المطهري .. ومن كتب أخرين ؛ لايسعني ـ الآن ـ أن أقرأ الأسماء التي كانت في القائمة ... ورأى هؤلاء ـ أساتذة وطلاباً ـ أن فكر أهل البيت ؛ بالمستوى الذي يمكنه أن يساهم في مجتمع المعلومات ، وأن يساهم في النظام العالمي الجديد ؛ الذي اصبحنا نساق إليه سوقاً ، رضينا أم أبينا .

من هنا .. أود أن أعود إلى الموضوع ؛ لأربط الموضوع بهذه المقدمة .

السيد الخوئي ـ رحمه الله ـ من خلال تلمذتي عليه ، ومن خلال مجاورتي له ؛ كان عبقرياً من العباقرة .. وأقول «عبقرياً من العباقرة» في مجال العلم .. لا أريد أن اخرج عن مجال العلم ؛ إلى مجالات أخرى .. لأن المجالات الأخرى ؛ ستصبح تاريخية .. وقد لانستفيد منها في حاضرنا ، أومستقبلنا .. أما العلم هو الذي نستطيع أن نستفيد منه ؛ في حاضرنا ، وفي مستقبلنا .

ذكر الأخ البريكي شيئاً من سيرة السيد الخوئي في دارسته ، والسيد الخوئي ؛ أفاد كثيراً ، من تلمذته على المدارس الأصولية الثلاث المتعاصرة .. وهي مدرسة الكمباني الأصفهاني ، ومدرسة أغاضياء العراقي ، ومدرسة الميرزا النائيني .

مدرسة الكمباني الأصفهاني ؛ كانت متأثرة بالمنهج الفلسفي ، الشيخ الأصفهاني كان يحاضر في مادة أصول الفقه .. وكان منهجه منهجاً فلسفياً ؛ لأنه كان فيلسوفاً ، أو حكيماً متألهاً ، كما يعبرون عنه .. أو كما يلقبونه .

أغا ضياء العراقي ؛ كان بعيداً عن الفلسفة .. وكان منهجه علمياً خالصاً ، ويذهب كثير من الاساتذة الذين التقيناهم من تلامذته ، الى انه المعلم الأول ؛ لعلم أصول الفقه ، عند الشيعة الامامية ؛ لانه استطاع أن يعطي علم أصول الفقا .. ابعاده بشكل كامل .

الميرزا النائيني ؛ كان يجمع بين المنهجين الفلسفي والعلمي .. وكان السيد الخوئي ، من أقرب تلامذة الميرزا النائيني لأستاذه النائيني .. وكتب تقريرات أو محاضرات الميرزا النائيني ، وعنون تلك المحاضرات بـ (أجود التقريرات) .

وكان له زميل ـ أيضاً ؛ كتب تقريرات الميرزا النائيني ، وهو الشيخ محمد علي الكاظمي .. ولا أدري كيف أعرفه لكم ...؟!

تعرفون أنتم .. أو أكثركم يعرف الدكتور فاضل الجمالي ؛ وهو من رجالات التربية العرب .. وكان رئيساً للوزراء في العراق ، في العهد الملكي الهاشمي .

الشيخ الكاظمي ؛ هو عم الدكتور فاضل الجمالي .. توفي الشيخ الكاظمي مبكراً .. وانفرد السيد الخوئي ؛ بأنه أبرز تلامذة الميرزا النائيني .

ومدرسة الميرزا النائيني ، في أصول الفقه ، غطت على مدرسة العراقي ، ومدرسة الأصفهاني .

ولأن السيد الخوئي ـ كما ذكرت ـ كان عبقرياً ، ولماحاً في عبقريته ، استطاع أن يجمع بين هذه المدارس الثلاث .. وأن يفرغها في مدرسة ؛ عرفت بمدرسة السيد الخوئي .. فأصبحت آراؤه تذكر ؛ إلى جانب آراء أساتذته .. ومن خلال تتبعي للدراسات الأصولية .. أو أبحاث الخارج المعاصرة للسيد الخوئي ـ سواء أكان في النجف ، أو في قم ، أو في غيرهما ـ لم أر مدرسة أصولية ؛ جاءت بعد مدرسة السيد الخوئي ... وما كتب من تجديد ، في أصول الفقه : كان تجديداً في العرض ، والأسلوب والتبويب .. بالمستوى الذي لا يرقى إلى أن يقال عن مؤلفيه ؛ انهم أصحاب مدرسة ...!، وهذا يعني : أن المدرسة الأصولية الإمامية ؛ بدأت بالشيخ المفيد ، وانتهت بالسيد الخوئي .. ولاأريد أن أستعرض ـ الآن ـ مسيرة هذه المدرسة وإن كنت معدا لها ـ لضيق الوقت ... ولكن أشير الى بعض الجوانب ؛ لأوثق ما قلته عن السيد الخوئي ، وتجديده في الأصول .

السيد الخوئي درس مادة أصول الفقه عدة دورات ، وكانت دوراته الأولى ؛ تستغرق ثماني سنوات .. يعني تدريسه لمادة الأصول .. كان يستغرق ثماني سنوات ؛ يستكمل فيها المادة كاملة .. ثم من الدورة الرابعة ؛ خفض المدة الى نصفها .. إلى أربع سنوات .. أختصر مايلقيه من محاضرات .. فكانت مادة الأصول تنتهي عنده خلال اربع سنوات .

شيء أود أن أذكره ـ هنا ـ قبل أن أنتقل إلى النقاط ؛ التي أريد أن أشير اليها .

هناك ثوابت في المدرسة الإمامية .. هي أبعاد ـ في الواقع ـ للنمط الدارسي ، في الحوزات الإمامية ؛ قد لا نجده ـ الآن ـ في الحوزات الأخرى .. وكذلك ؛ قد لا نجده في الجامعات .. وحتى في الجامعات العريقة ؛ أمثال : كمبرج ، واكسفورد ، وغيرهما ... هذه الثوابت هي الأصالة الإسلامية .. دائماً العالم المجتهد ؛ إذا كان يباحث (الخارج) ، أو يلقي محاضراته في الدراسة العليا ؛ يحافظ على أن يكون الفكر الذي يعطيه فكراً إسلامياً أصيلاً .. يعني بتعبير آخر : يكون حذراً يقظاً من أن يتداخل ؛ الفكر الإسلامي ، مع الافكار الأخرى فتغزو تلك الأفكار الأخرى ؛ الحضارة الإسلامية في مجال الشرعيات . البعد الثاني ، أو العنصر الثاني ، أو الثابت الثاني : هو العمق في البحث .

الدراسة في الجامعات ـ واكثرهم طلاب جامعات ، وأساتذة جامعات ـ منظمة .. وفيها شيءٌ كثيرٌ من الشمولية ، والاستيعاب ، فيها

المنهجية ؛ لكن تفتقد في الكثير منها ـ وطبعاً أنا واحد ، من أبناء الجامعات ـ العمق في البحث .

الدراسة الحوزوية ؛ هناك عمق في البحث ، وحينما أقول : الدراسة الحوزوية ؛ فليست التي تتمثل على أيدي بعض الطلبة المتطفلين على العلم ؛ وإنما التي تأتي من المجتهدين الأساتذة .. هناك عمق في البحث .. يستعرض المجتهد الأقوال في المسألة ، ويحاول أن يوضح معاني هذه الأقوال .. ثم يعرض أدلة هذه الأقوال .. ويوضح هذه الأدلة لطلابه .. ثم يوازن بين هذه الأدلة ، ويقارن ، ويحاكم ، ويناقش ويحلل ، وينقد ؛ حتى ينتهي الى النتيجة التي ينهيه إليها البحث .

الثابت الثالث : هو الإستقلالية في الرأي .

المجتهد يكون مستقلاً في رأيه ، لا يتأثر بآراء الآخرين ، أو بالأفكار الأخرى .. دائماً يعطي رأيه ؛ بينما نحن في دراساتنا الجامعية ، قد نستعرض آراء العلماء ، وقليلاً ما نسمع الأستاذ ، يعطي رأيه في المسألة .

هذه الثوابت ؛ تعطينا الفارق بين المجتهد ، وغير المجتهد ؛ تعطينا الفارق بين المفكر الإسلامي الأصيل ، والمفكر الإسلامي غير الأصيل .

يعني : هذه الثوابت .. بينها وبين المتغير .. فاصل دقيق جداً ، يعني : لا يستطيع أي عالم يحافظ عليها ؛ إلا إذا كان ملهماً ، أو عبقرياً ، أو ذكياً ذكاء حاداً .

هذا الشيء لمسته من السيد الخوئي ـ رحمه الله ـ عندما كان يتعامل مع أصول الفقه .. وكذلك ؛ عندما كان يتعامل مع الفقه .

السيد الخوئي ؛ قد يختلف عن كثير من المجتهدين ؛ في أنه كان منفتحاً على الجديد المفيد ، مما تفرزه المطابع ، ويدخل المكتبات الإسلامية .. وأعطي بعض الشواهد على هذا :

عندما كان يُدرّس التفسير ، في ليلة الخميس والجمعة (وهو ما يعرف بالتعطيل في عرف الحوزات .. الدرس التعطيلي ؛ يعني : الدرس الذي يُدرس يوم الإجازة .. هذا معني الدرس التعطيلي) .

كان يُدرّس التفسير .. وطُبع كتابه (البيان) .. كان يطلب أن يطلع على ما كتب في القرآن ، وحول القرآن .. من كتب قديمة ، وكتب حديثة .. وكنا ننقل إليه هذه الكتب ..

وأتذكر من الكتب التي أعطيتها له .. (في ظلال القرآن ، والتصوير الفني في القرآن ، ومشاهد القيامة في القرآن .. لسيد قطب) و (القصص القرآني ، لمحمد خلف الله) .. وكتاب آخر حول مذاهب التفسير لكولد سِيهَر .. المستشرق المعروف .. وكتب أخرى ..

وكذلك ؛ طلابه الآخرون ، نقلوا إليه كثيراً من هذه الكتب ؛ وكان يقرأ هذه الكتب .. قد يقف على مصطلحات حديثة ؛ ليس له اطلاع عليها ، لا يأنف أن يسأل عن معنى هذا المصطلح ، أو ما يراد بعبارة موجودة ، في الكتاب ، تستعمل ألفاظاً علمية حديثة ، أو ألفاظاً أدبية حديثة .

السيد الخوئي ـ أيضاً ـ كان يتميز في بحثه ؛ في الأصول والفقه ؛ أنه يُحرر المسألة ، يوضح الموضوع .. وبعد هذا ؛ يتحدّث عنه .. وعندما يريد أن يوضح الموضوع .. إذا كان عرفياً ، يعني : يرجع إلى أبناء المجتمع .. عامة أبناء المجتمع ؛ تجد السؤال .. من الناس ، من تلامذته ، وغير تلامذته ، يستفسرون من الناس عن الموضوع ، وينقلون إليه ؛ الآراء حول المسألة .. وإذا كان الموضوع موضوعاً علمياً ، يرجع إلى حقل التخصص .. إلى أصحاب التخصص في المسألة ؛ وأحيلكم إلى مسألة (وَحْدة الأفق في الهلال) ؛ تجدون في الرسالة العملية ، حديثاً موسعاً .. وهو خير ما كتب ... كتب آخرون من أساتذتنا ؛ حول موضوع وحدة الأفق .. وتناولوها خارج إطار التخصص .. السيد الخوئي تناولها داخل إطار التخصص .. واستطاع أن يوضح المسألة علمياً .

هذا ـ أيضاً ـ مما كان يتميز به ، السيد الخوئي .

أشير إلى شيء آخر ـ لأن الموضوعات كثيرة :

كان ـ هناك ـ موضوع في علم أصول الفقه يسمى بـ (الوضع) ، وكلمة (الوضع) مأخوذة من الفلسفة ، يعني : تحدّر الموضوع من الفلسفة إلى أصول الفقه .. يراد بالوضع نشأة اللغات .. كيف نشأت اللغات ... ؟ !

هناك نظريتان موجودتان في أصول الفقه :

النظرية الأولى : تقول : إن اللغات توقيفية .. كانت من الله ، ويستدلون بأدلة ..

والنظرية الأخرى : تقول : إن الجد الأعلى ، لأبناء هذه ـ ولنفترض العرب ، جدنا يعرب .. أو جدنا اسماعيل ـ هو الذي وضع اللغة .

السيد الخوئي ، للإنتاج الموجود لديه ؛ حاول أن يطلع على ما يقوله علم اللغة الحديث .. حول الموضوع .

وأتذكر ؛ كانت أحدث نظرية ، تقال ـ آنذاك ـ أن اللغة وليدة الحاجة للتفاهم .. وفي علم الاجتماع اللغوي ، يُعطوننا مثالاً :

لو أخذنا طفلين ، قبل أن يتكلما .. وعزلناهما عزلاً كاملاً ، يمنعهما من سماع الأصوات ، سيحدثان لُغة خاصة بهما .

تبنى هذه لاقتناعه ـ طبعاً ، لأدلتها .. وطَرحها في بحثه ، وموجودة في ما كتبه طلابه من أبحاثه .

السيد الخوئي ، في عطائه ـ حتى اختتم الموضوع ـ يمكن أن يُقدّم ؛ وكما قُدِّم .. نموذجاً للعالم الإسلامي ، الذي يعطي التشريع للبشرية ، طبعاً التشريع المأخوذ عن مذهب أهل البيت ؛ هو الإسلام الأصيل ، والإسلام جاء للبشرية .. يعني ؛ قد تستغرب أنت هذا ؛ لكن في الغرب لا يستغربون هذا .. ممكن أن نعطيك كمُشرع ؛ يعني ؛ يفهم التشريع ، ويستطيع أن أن يعطي التشريع بالشكل الذي ؛ يسهم في ما أشرت إليه في البداية ...

هذا هو السيد الخوئي ، باختصار .. وها هي الأمة التي أنجبت السيد الخوئي ، وأمثال السيد الخوئي ... !

ومن هنا ؛ أقول لكم ـ وأنا أقرأ ما يتداول في أيدي الناس ، من بعض القصاصات ـ أن نقيق الضفادع ، وطنين الذباب ، لا يؤثر على هذه الطائفة .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

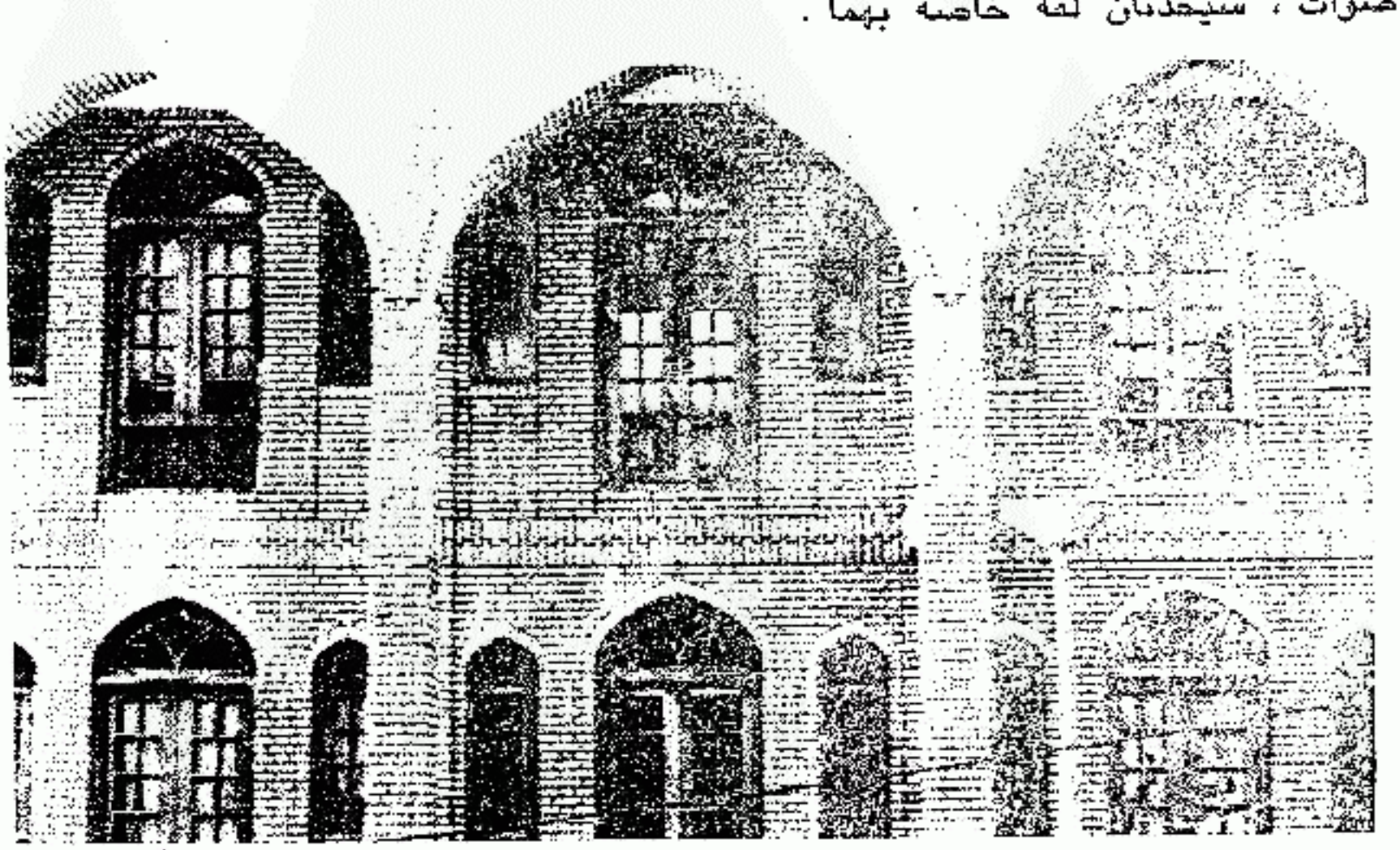

○ الملك الحسين بن طلال ملك المملكة الأردنية الهاشمية لدى زيارته مؤسسة الإمام الخوئي وتقديم العزاء بوفاة السيد الخوئي ويبدو في الصورة مصافحاً السيد محمد الموسوي ويظهر الى يسار الموسوي: الدكتور فاضل الميلاني، فالسيد عبد المجيد الخوئي

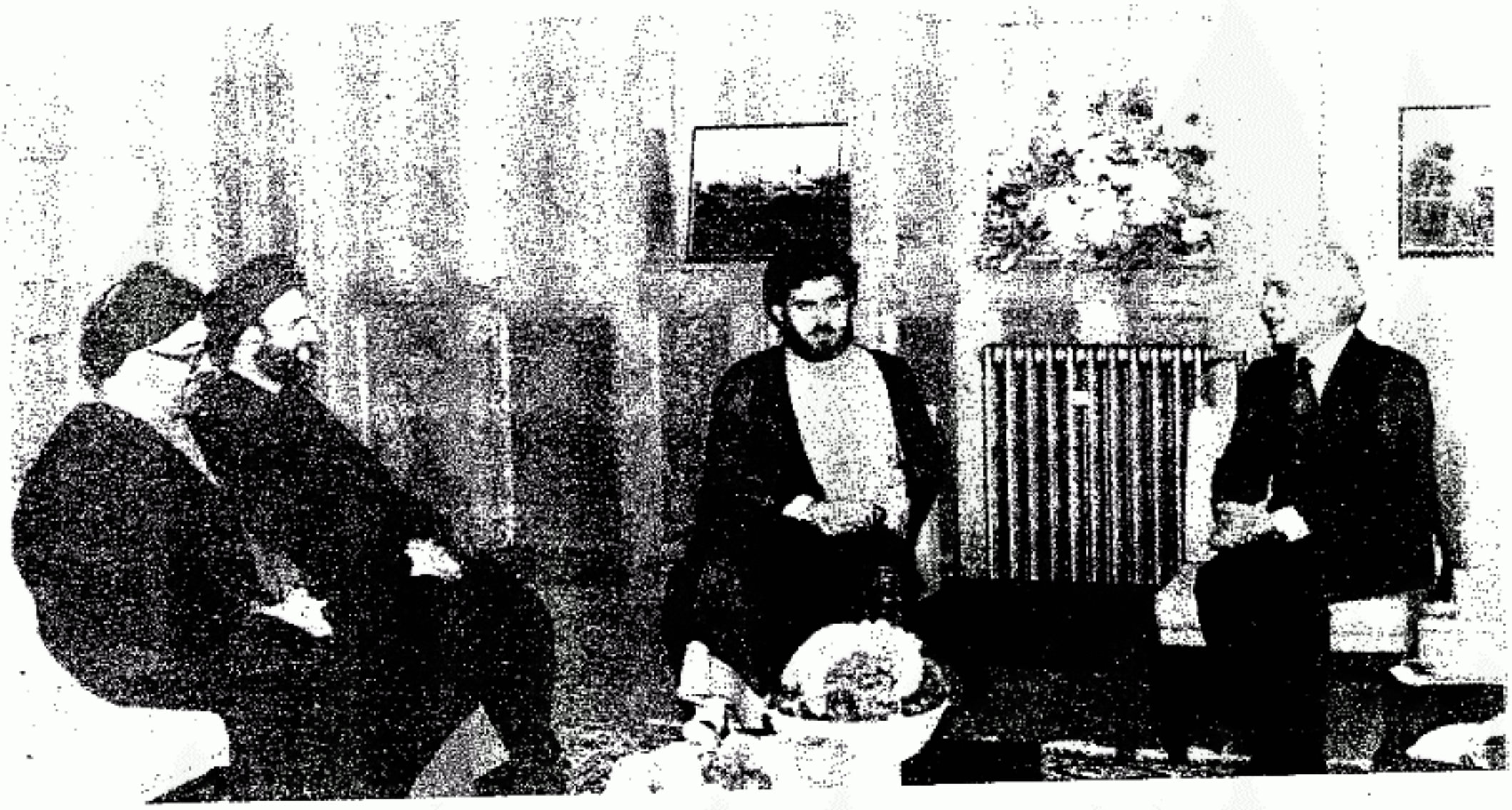

○ من اليمين الملك الحسين بن طلال ـ السيد عبد المجيد الخوئي ـ السيد محمد الموسوي ـ الدكتور فاضل الميلاني